المقتطف

الجزء الثالث من السنة الرابعة عشرة

١ ك١ (ديسمبر) سنة ١٨٨٩ الموافق ٨ ربيع الثاني سنة ١٣٠٧

الصناعة البيتية

أَغْمِدِ السيفَ وأَطْرِحِ المِرَانا ... وأَخْلَعِ الدِّرْعَ وأَزْدَرِ التِّجانا

وتَرَجَّلْ عَنِ النَّعامَةِ واقْعُدْ ... كُلُّ حِصْنٍ وإِنْ يَكُنْ إِيوانا

وَتَفَلَّدْ مُطارِقًا وفُؤُوسًا ... وتَخَيَّرْ مِنَ الحُلى سِندانا

وتَرَجَّلْ عَلَى النَّواخِرِ والأَلْـ ... ـفِ كُلِّ بَيْتٍ حِمَى الصِّناعَةِ صانا

لا أحلى من الرخاء بعد الشدة ولا من الرجاء بعد القنوط . وأيُّ بلية اشدّ على المشرق من بوار صناعتهِ وكساد بضاعتهِ بل من تطليقهِ الصناعة بتاتًا واعتمادهِ على مصنوعات المغرب في حاجيّاتهِ الحياة وكمالياتها . وأيُّ قنوط اقطع للآمال من ركوب اهل الصناعة فرس رهانٍ ونحن مشاة حفاة في مسالك كثيرة العثرات . ولكنَّ مع العسر يسرًا . ومَنْ دقَّق البحث رأى ابواب الآمال لم تزل مفتوحةً وهم المشارقة التي اوجدت العمران لا يتعذَّر عليها استرجاعهُ . ولا نطيل الكلام في هذه المقدمات بل نخوض بحر البحث مع القارىء الكريم وله علينا جمع الحقائق ولنا عليهِ تتبعها للوصول الى النتيجة

من المقرر في الاذهان ولو عن غير برهانٍ أن المصنوعات الاوربية تُعمَل كلها بآلات تصوغها صوغًا او تسكها سكًا بلا تعب ولا نصب او كما قال لنا بعضهم ان الافرنج يضعون القطن في ناحية من آلة النسج فيخرج من ناحية اخرى منها منسوجًا بدون ان تتوسط في ذلك يد بشرية . والحقيقة ان الاعمال اليدية لم تزل شائعة في اوربا اتم

الشيوع وان الاساليب الصناعية الحديثة قد صيّرت الاعمال كثيرًا ورخّصت ثمن المصنوعات ولكنها لم تبطل كل الاعمال اليدوية ولن تبطلها كما سيجيء

ومما يصعب تصديقه على كثيرين من القرّاء ان جانبًا كبيرًا من المصنوعات الاوربية التي تباع في اسواقنا لم يعمل في المعامل الكبيرة ولا صُنع بالآلات الجارية بل صنعه اليدي الصناع في معامل صغيرة بل دكاكين حقيرة على دكاكين صنّاعها ومن الممكن ان يعمل في بلادنا فيتعيّش بعمله المرضيون الخيّرون وغيرهم من اهل البطالة الذين يجولون في شوارع المدن ومن الفلاحين الذين يضيع جانب من وقتهم بلا عمل نافع واليك بيان ذلك

الصناعة اليدوية في روسيا

في بلاد الروس في اوربا ثمانون مليون نسمة . وسبعة ملايين ونصف منهم يصنعون المصنوعات اليدوية وتبلغ قيمة مصنوعاتهم في السنة نحو مئتي مليون جنيه هذا مع اتساع معامل روسيا ولا سيّما في السنين الاخيرة . وقيمة المصنوعات اليدوية في ولاية موسكو وهي اكثر ولايات روسيا معامل ثلاثة امثال قيمة مصنوعات المعامل . وكلما كثرت معاملها كثر اقبال الناس على المصانع اليدوية ورغبتهم فيها . ومنذ عهد قريب شاعت صناعة نسج الحرير في البيوت في شمالي القوقاس فكسدت بها سوق المنسوجات الفرنسوية

ولرخص المنسوجات الروسية سببٌ واضح وهو ان الفلاّح الروسي يستغلّ من ارضه كل ما يلزم لمعيشته ولا يرى بين يديه نقودًا يبتاع بها كماليّات الحياة فيبيع مصنوعاته بابخس الاثمان ليربح شيئًا من النقود . وكل المشتغلين بالزراعة يمكنهم ان يفعلوا هذا النحو لان الفلاّح مهما ساءت حاله لا يرى صعوبةً في تحصيل معيشته من ثلاثة ارضه وان لم يكن له ارض وكان اجيرًا فلا اقل من ان يمونه مستأجرهُ . وان كان مسكينًا معيلاً فهو وعياله يلتقطون من وراء الحاصدين ما يمونهم . ولا ينكر ذلك الاّ من عرف الفلاّحين بالاسم ولم يرهم في بلادهم او غفل او تغافل عن الحقيقة . فالفلاّح اقدر على اتباع الصناعة من كل احد لانهُ انما يقبل عليها وقت الفراغ ومعيشتهُ مكفولة من باب آخر . ومما يحسن ذكرهُ ان فلاّحي ولاية موسكو يبارون مدينة باريس في المصنوعات المتقنة فيصنعون المبراييط الحريرية ويكتبون عليها بالحروف الفرنسوية انها من آخر زي باريس (Nouveautés Parisiennes) فتروج في اسواق موسكو كانها بضاعة باريس ويمثّلون ايضًا مصنوعات فنية وتدخل مصنوعاتهم قصور الملوك كانها من مصنوعات

اعظم معامل فرنسا وانكلترا

الصناعة البيتية في جرمانيا

في بلاد جرمانيا نحو اربعين مليون نسمة . وخمسة ملايين ونصف منهم من اهل الصناعة ونصف هؤلاء يعملون في المعامل الكبيرة والنصف الآخر في المعامل الصغيرة التي دعوناها بيتية و٥٤٠ الفاً يصنعون المصنوعات في بيوتهم نفسها وثلثاهم ينسج المنسوجات. وتمتاز المصنوعات الجرمانية البيتية باتقانها واتباعها حالة العصر وتقدم العلوم فالسكاكين والمواسي التي تصنع في سولنجن لا تقل اتقاناً عما يصنع في اكبر المعامل . واللعب التي تصنع في البلاك فورست مبنية على قواعد علمية تدرس في المدارس

الصناعة البيتية في فرنسا

ان نصف اهالي فرنسا يعيشون من الزراعة وربعهم من الصناعة ونحو اربعة ملايين من هذا الربع يشتغلون في الصنائع البيتية . والذين يعيشون من الزراعة لا يقتصرون عليها في تحصيل معيشتهم بل يصنعون كثيراً من المصنوعات البيتية التي توسع لهم ابواب الرزق ولولا ذلك لكانت حالهم جداً . اما الصنائع الصغيرة فلم تزل شائعة في فرنسا رغماً عن انتشار المعامل فيها فقد قدروا سنة ١٨٧٨ انه كان في فرنسا حينئذٍ ٢٣٨ الف نول يعمل بها باليد و ١٢ الف نول يعمل بها بالآلات المائية والبخارية وقد قل الآن عدد الانوال الاولى ولكنها لم تزل اكثر من ربع مليون ! واكثر هذه الصنائع الصغيرة في تارار والنورد وليون وباريس اما تارار فشهرتها بنسج الموصلين (الموصلي) وتطريزه فان معاملها تغزل الغزل وتسلمه للحاكة الفلاحين وهم يحوكونه بحسب تنوع الازياء التي تتغير على الدوام وهذا مما منع المعامل عن مباراتهم لان المعمل لا يتمكن من استنباط آلة لنسج هذا النوع او ذاك حتى يبطل زيه فيخسر المعمل المال والوقت . وهكذا الحال في ولايات الشمال فان حاكين الحاكة ملاصقة للمعامل الكبيرة في امبس ولل وروبه وروان وعائشة معها غير خائفة منها بأساً . وقد نسج من المنسوجات القطنية الساذجة في القرى التي بروان سنة ١٨٨٠ ما قيمته مليونان ونصف من الجنيهات . ويقال في الحاكة الفرنسويين ما قيل في الحاكة الروسيين وهو انهم يتفرغون الى الحياكة وقت العطلة لا غير ويقومون على فلاحة ارضهم وخدمة مزروعاتهم احسن قيام واذا لم يمكنهم ان يخدموا المواشي اللازمة لفلاحة الارض وكلوا بها من يعتني بالمواشي اللازمة للتربة كلها . ولو دخلوا المعامل لاضطروا ان يتركوا الزراعة تماماً بل ان

يتركوا بيوتهم ويقيموا بمحاسب المعمل ايام الاسبوع كلها ولا يرجعوا الى بيوتهم الا يوم الاحد يوم الراحة . واما ليون فالمشهور انها مركز المنسوجات الحريرية وفيها مئة وعشرة آلاف نول ربعها يعمل بالبخار والثلاثة الارباع باليد وقد ادخلت اليها الادوال البخارية منذ سنين كثيرة ولكنها لم تتغلب على الادوال اليدية . والحاكة في ليون كالمصورين والنقاشين يفترقون الحرير و يوشونه حسب طلب التجار . وقد ساءت حال هؤلاء الحاكة في السنين الاخيرة لان نسج الحرير قد شاع في اماكن كثيرة كما بينا ذلك في الجزء الاول من هذه السنة فصارت في غنى عن المنسوجات ليون

واما باريس فهي مهد الصنائع الصغيرة واليدية مع اتساع اعمالها . فان خمسة اسداس الصناع الذين فيها يعملون بالصنائع اليدية ونصفهم فقط يعمل في المعامل الكبيرة ومن هذه الصنائع اليدية والصغيرة الخياطة والصياغة وعمل الازهار الصناعية وتجليد الكتب وعمل المركبات والسلال ونحو ذلك وتمتاز مصنوعاتهم بجمالها ودقة صنعتها وصناعها يستنبطون كل سنة ما لا يحصى من الادوات لتسهيل الاعمال

الصناعة البيتية في بلاد الانكليز

من المشهور ان البلاد الانكليزية بلاد المعامل وان كل ما يرد الى بلادها منها انما يصنع في معاملها الكبيرة تشرف التجار . وقد يعجب القارئ اذا قلنا له ان عدد الذين يعملون في المعامل الكبيرة في انكلترا لا يزيدون على مليون نفس والذين يعملون في بيوتهم او دكاكينهم يبلغون مليونا وسبعة واربعين الفا . وان شوارع لندن وكلاسكو وغيرها من المدن الكبيرة غاصة بدكاكين الصناع الصغيرة لا بمعاملهم الكبيرة

ومن اشهر المصنوعات الانكليزية ادوات القطع التي تصنع في شفيلد وهي مما اشتهرت به تلك البلاد ولكن هذه الادوات لا تصنع بالآلات بل باليد . نعم ان هنالك معامل كبيرة تصنع آلات القطع من حين تكون حديدًا الى ان تصقل نصالها وتوضع في انصبتها ولكنها لا تستقل بهذه الاعمال وحدها بل تستخدم الصناع الماهرين ليعملوا بايديهم ما لا تقدر الآلات على عمله . ولبعض الصناع مهارة غريبة في سقي النصال وتحديدها لا يمكنهم ان يعلموها لغيرهم وهي متوقفة على دلائل خفية يدركونها بانفسهم بدون ان يقدروا على التعبير عنها . واكثر الصناع يعملون في بيوتهم بين اقاربهم او في دكاكين صغيرة خاصة بهم كما يعمل البرادون في بلادنا ويستأجرون آلة بخارية يستعينون بها على بعض الاعمال

قال البرنس كروبوتكن الروسي وغيره اكثر اعتمادنا في هذه المقالة انه رأى البرادين صانعي المناديل والجواخ والسكاكين يطرقون النصال على السندان نهارهم كله والبراد منهم يعمل وحده في دكانه او يكون معه صانع او صانعان وينقل النصال الى جاره فيخدمه وينقلها له وينصقلها . والبراد من هؤلاء البرادين لا يربح في يومه الا ما يسد به الرمق ولكنه يفضل ذلك على ان يكون اجيرًا في معمل كبير

ومنذ ثلاثين سنة كان اكثر الحاكة في لييدس يحوكون بنوالهم اليدوية ويبيعون منسوجاتهم للتجار فيصقلونها بضاقلهم . ثم تألفت شركات لغزل القطن واصنعت آلات الحياكة ورأى الحاكة انه لا يمكنهم مباراتها فصاروا يشاجرونها بالاجرة ويشتغلون بها منسوجاتهم مستقلين بانفسهم . والمعامل الكبيرة لا تتغلب عليهم الا اذا استعملت طرق الغش اما بتثقيل المنسوجات بالمواد الترابية او بمزج الصوف منها بالقطن او باستخدام الاولاد الغلال الاجرة وحتى الآن لم يزل كثيرون من النساجين ينسجون بايديهم

واما بقية الصنائع من مثل عمل السلال والأطر والكرسي وما اشبه فاكثرها من الصنائع الصغيرة التي يعمل بها الصناع في بيوتهم او في دكاكينهم . والمسامير على رخص ثمنها لم يزل جانب كبير منها يصنع باليد . وهناك سبعة آلاف صانع يصنعون الاقفال بايديهم

وفي مدينة لندن مليون صانع يكتفي الواحد منهم باقل من ثلاثين في الاسبوع على الدوام السنة . وما المخازن الكبيرة التي في تلك المدينة سوى معارض تعرض فيها مصنوعات اولئك من العملة الذين يعملون وراء المخازن او في الطبقات العليا التي تحت السقوف

ومهما تقدم الناس في عمل الآلات واتساع المعامل وسرعة انجاز المصنوعات ورخص ثمنها يبقى للاعمال اليدوية باب واسع قبل ان تدخل المعامل وتصنع لها آلات تعمل بها . والاختراعات جارية على قدم وساق والفن في الاعمال لا يعرف حدًا يقف عنده فكل يوم يستنبط الصناع نوعًا جديدًا من المصنوعات ويتفننون في نوع قديم وتقضي اشهر بل سنين قبلما تصنع الآلة اللازمة لهذا النوع من العمل وتشيع في البلدان وربما أهملت قبلما تشيع فيبقى المجال واسعًا ليد الصانع التي تتعلم العمل في يوم وتتركه وتتعلم غيره في يوم آخر

الصناعة اليدوية عندنا

ان ما تقدم كافٍ لاظهار حال الصناعة الاوربية التي اذهلتنا وجعلتنا نترك صنائعنا ونقف مغلولي الايدي يتسين من تجارتها . نعم ان المعامل كثيرة في اوربا والاعمال رائجة

فيها واكثر البضائع التي ترد الى الشرق هو مصنوع فالورق من معامل الزراعة والمنسوجات القطنية والصوفية اكثرها اتى من معامل الساعة واكثر البضائع الكوتشوية والفسوبة والجرمانية الرخيصة التي صنع في معامل كبيرة ولكن تعذر انشاء هذه المعامل عندنا لا يستلزم اهمال الصناعة الى هذا الحد بل لو تدبرنا الامر جيدًا وعلمنا ان الخير الاكبر لهذا القطر وللقطر السوري باتي من وراء الزراعة لاغضينا عن كل اسلوب يضعف الزراعة ولم نترحب الا بما يقويها . وقد بان مما تقدم ان المعامل الصناعية تضعف الزراعة بل قيمتها وان الصنائع اليدوية عون للفلاح وانها لا تمنعه من خدمة ارضه واتقان زراعته فهي الاسلوب الافضل للبلاد لانتشارها في المدن والبادر بجمع تحت لوائها جميع العطلة والمتشردين فتردهم من الضرر الى النفع وتقيم منهم رجالاً لخدمة الوطن ورفع شأنه

ولعود الصناعة الى بلادنا سبيلان الاول ان تتعلم بعضها من الاجانب الذين يتزلون بلادنا ونسافر الى بلاد اوربا فتتعلم البعض الآخر ونقلد بعض المصنوعات الاوربية بانفسنا وهذا الطريق قد جرى الوطنيون فيه في كل فرع من فروعه فترى هنا نجارًا مصريًا قد تعلم من جارهِ الايطالي وهناك ساعاتيًا شاميًا قد سافر الى سويسرا واقام فيها مدة فتعلم صناعة الساعات وهنالك برّاقًا مصريًا او شاميًا رأى اداة اوربية فصنع مثلها . ولكن هذا الاسلوب بطيء لا يفي بالمطلوب تمامًا . والسبيل الثاني ان تضاف الى المدارس الابتدائية والتجهيزية مدارس صناعية تعلم فيها مبادىء اكثر الصنائع التي يمكن اتقانها في هذه البلاد كالحياكة والنجارة والحدادة والبرادة والصباغة والطباعة . ونظارة المعارف الحالية بادلة وسعها لاتباعه وهو لا يغني عن السبيل الاول ولا يخلو من صعوبتين كبيرتين الاولى ايجاد المال والثانية ايجاد المعلمين اما المال فميزانية المعارف لا تكفي لادخال الصناعة الى كل المدارس فلا بدّ من دخل آخر للمدارس ويجب ان يعتمد فيه على كرم الوالدين واحسان المحسنين . ألا نغار نحن من الانكليز لاتقان صنائعهم واتساع متاجرهم فانظر الى ما ينفقهُ الانكليز في انكلترا وحدها على المدارس الصناعية فان عدد التلامذة والنفقات عليهم كما ترى في هذا الجدول

سنة	عدد التلامذة	نفقاتهم جنيهات	من خزينة الحكومة
١٨٧٥	١١٧٧٦	٢٧٣١٥٦	١٢٦٦٩٨
١٨٨٠	١٥١٢٦	٣١٦١٧٥	١٦٧٦٣٩
١٨٨٥	٢٠٢٥٠	٣٨٦٤٠٠	١٨٣٩٧٠

فتجري من ذلك ان الحكومة لا تدفع الا نحو ٨ الاف جنيه وما بقي وهو اكثر من مئتي الف جنيه يدفعه الوالدون والمتصدقون وغيرهم من اهل البر. فاذا حركت الارحية الوالدين والمحسنين عندنا للاخذ بناصر الحكومة لا يعذر عليها ايجاد النفقات اللازمة اما الصعوبة الثانية وهي ايجاد المعلمين فلا بد في حلها من الجري على الخطة التي جرب عليها مدرسة الطب عند اول انشائها وهي جلب المعلمين من اوربا اذا لم يوجد الناس اتقنوا هذه الصنائع بين اهل الوطن. وبها التمست مدارس الصناعة لا تعدم الا بعد اتقان الصنائع وسهولة لها

وجملة القول انه اذا تعذر وجود المعامل الكبيرة في بلادنا لا يتعذر اتقان الصناعة فيها في البيوت والدكاكين. ولنا اسوة بروسيا بل بجرمانيا بل بفرنسا على نباهتها ولم نخصص هذه الممالك بالذكر الا لانه يظن ان معاملها اوسع من معامل غيرها واكثر عددا. فعسى ان يقع هذا الكلام عند حضرات القراء الموقع الحسن ويضاف صوتنا الى اصوات الكثيرين الذين يطلبون عود الصناعة الى الوطن

زيت البترول الروسي

لاحد العلماء

قال الامير ارنست شبكيني قنصل حكومة النمسا والمجر في باطوم في تقرير رفعه الى دولته سنة ١٨٨٨ ما ملخصه

ان المستخرج من زيت النفط المكرر لم يبلغ سنة ١٨٨٠ سوى خمسة وعشرين مليون پود روسي وبلغ سنة ١٨٨٥ مئة مليون پود وزاد سنة ١٨٨٨ فبلغ مئة وخمسين مليون پود والپود زنة روسية تساوي نحو اربعين رطلاً. وزيت النفط المذكور نوع من الزيت الحجري ومنقاه هو زيت البتروليوم الروسي. وقد كثر استخراج هذا الزيت وشاع استعماله بسبب الشركة التجارية التي انشأها بيت رونشيلد لاستخراج النفط والزيت من جهات البحر الاسود وقد سلكت في روسيا مسلك الشركة الاميركية المسماة بشركة ستندرد اويل اي انها قصدت حصر تجارة البترول الروسي في يدها وذلك انها انشأت فرعين واحداً في باطوم والآخر في باكو ووزعت على مستخرجي الزيت بعض الملايين من الريالات الروسية لكي يوسعوا معاملهم بها ويكثروا من استخراج الزيت ونقله بالسكك